

المتن

ثم إن كان قائله معروفاً بالنصيحة والصدق في طلب الحق اعتذر عنه في هذه المخالفة
وإلا عومل بما يستحقه بسوء قصده ومخالفته.

الشرح

طيب شوف إذا كان هذا القائل الذي خرج عن جهة الصواب معروفاً بالنصيحة
والصدق في طلب الحق؛ فإننا نعتذر عنه ولا نكرهه على ما قال ولا نبغضه؛ بل نقول:
هذا رجلٌ بشرٌ يجوزُ عليه ما يجوزُ على البشرِ من الخطأِ ونعتذرُ ونسألُ اللهَ له العفو
والمغفرة؛ أما إذا كان غير معروفاً بالنصيحة بل هو داعية إلى البدعة مُصرٌّ عليها لا يقبلُ
نصيحة من ناصح فإننا نُعامله بما يستحقُّ لسوء قصده ومخالفته. لأن هذا الرجلَ تبين لنا
فيه أمران: المخالفة والثاني سوء القصدِ فنعامله بما يستحقُّ. إذا كان لنا سُلطة فإننا نُردعه
بالقوة السلطانية أن يمضي في بدعيته أما إذا لم يكن لنا سُلطة فباللسانِ والقلمِ نُبينُ أن
هذا خطأٌ مجانبٌ للصواب.

فإن قال قائلٌ: بماذا نستدلُّ على سوء القصدِ لأنَّ سوء القصدِ في الواقعِ عملٌ قلبيٌّ
لا يطلعُ عليه أحدٌ فما جوابكم عن هذا؟ ما لنا إلا القرائن؛ مثل أن نعرفَ أنَّ هذا الرجلَ
رقيقُ الدين، ماعنده دينٌ، ما نجدهُ مُحافظاً على الصلواتِ ولا كثيرَ الصدقاتِ ولا مُحبباً
لأهلِ الخيرِ؛ نعرفُ هذا سيئَ القصدِ، ولا علمنا أنه قام يوماً من الأيامِ ينصُرُ الحقَّ أو
يتكلمُ به. فهذا لاشكَّ يعني قد تكونُ هذه القرائنُ براهينَ على أنه سيئُ القصدِ؛ ولهذا
قال اللهُ تعالى **"وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسْمَائِهِمْ"** [محمد:30]. يعني جعلنا لهم سِمةً :

علامة واضحة " **وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ** " يُعَرَّفُ الْمُنَافِقُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ يُعَرَّفُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقُومَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ لِنَصْرِ الْحَقِّ بَلْ يَتَسَتَّرُ وَغَايَةُ مَا هُنَا لَكَ أَنَّهُ يُدَافِعُ هُجُومَ النَّاسِ عَلَيْهِ فَقَطْ. أَمَا أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ شَيْءٌ إِيْجَابِيٌّ فِي نَصْرِ الْحَقِّ وَدَحْضِ الْبَاطِلِ فَهَذَا لَا يُمْكِنُ. فَحَنُّ نَعْرِفُ سُوءَ قَصْدِهِ بِقَرَائِنِ عَمَلِهِ ؛ وَإِلَّا فَإِنَّا فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ نُنْتَقِبْ وَلَا يَحِلُّ لَنَا أَنْ نُنْتَقِبَ عَنِ قُلُوبِ النَّاسِ ؛ لَكِنْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرَهُ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ دَلِيلَهُ. إِي نَعَمْ.

المتن

فإن قال قائل: هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟

الشرح

هذه نقطة مهمة جدًا؛ يعني قد تُعَادِلُ مَسَائِلَ كَثِيرَةً مِنْ مَسَائِلِ هَذَا الْكِتَابِ وَهِيَ مَسْأَلَةُ التَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ. هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي فَسَدَتْ بِهَا الْأُمُورُ. فَمَا خَرَجَ الْخَوَارِجُ إِلَّا بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِتَكْفِيرِهِمُ الْمُسْلِمِينَ وَاسْتِحْلَالَ دِمَائِهِمْ ؛ وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَتْ الدَّعَاوَى بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا بِتَّفْسِيقِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا إِذَا خَالَفَهُمْ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ. وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ يُجِبُّ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ الْعِنَايَةَ بِهَا وَأَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ - فِيهَا فَلَا يُقَدِّمُ عَلَى تَكْفِيرِ أَحَدٍ بِدُونِ بَيِّنَةٍ وَلَا يُجْحِمُ عَنِ تَكْفِيرِ أَحَدٍ مَعَ وَجُودِ الْبَيِّنَةِ لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَهَاوَنُ فِي التَّكْفِيرِ وَلَا يُكْفِرُ مَنْ قَامَتِ الْأَدَلَةُ عَلَى تَكْفِيرِهِ ؛ كَمَسْأَلَةِ تَرْكِ الصَّلَاةِ مَثَلًا فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَتَهَاوَنُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَلَا يُعْطِي النُّصُوصَ حَقَّهَا مِنَ التَّأَمُّلِ وَالْجَمْعِ بَيْنَ أَطْرَافِهَا وَالنَّظْرُ نَظْرًا عَمِيقًا؛ فَتَجَدُّهُ يَسْتَعْرَبُ أَنْ يُقَالَ لِشَخْصٍ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم-ولكن لا يُصلي؛ يستغرب أن نقولَ عليه إنه كافرٌ؛ فلا يُكفره. وهذا خطأٌ وإجمامٌ وجبُنْ؛ فالواجبُ الإقدامُ في موضع الإقدام والإجمامُ في موضع الإجمام. لا تنهزُ فَنُطِلقَ الكُفرَ على مَنْ لم يُكفره اللهُ ورسوله؛ ولا تندهور فَنَمْنَعُ الكُفرَ عَمَنْ كَفَّرَهُ اللهُ ورسولُهُ.

المتن

قلنا: الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت، فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه.

الشرح

إذن التكفيرُ والتفسيقُ ؛ والتعديلُ والتأمينُ يعني جعل الإنسان مؤمناً ؛ كالتحليلِ والتحریمِ والإيجابِ. التحليلُ والتحریمُ والإيجابُ نرجع فيه إلى مَنْ؟ إلى الله ورسوله كذلك التكفيرُ والتفسيقُ ؛ والتعديلُ والتأمينُ ؛ نرجع فيه إلى الله ورسوله، ما نقول: هذا كافرٌ إلا إذا علمنا أنه كافرٌ؛ وإلا فالأصلُ الإسلامُ حتى يقومَ دليلٌ على الكُفرِ. إذا قامت عليهم الحجة يجب أن نُقيمَ عليهم الحجةَ فإن رجعوا وإلا منعناهم بالقوة.

قلنا قد يكونُ الإنسانُ ناشئاً على مذهبٍ معينٍ يعتقدُ أنه الحقُّ؛ نشأ على مذهبٍ معينٍ ولنفرضَ أنه نشأ على مذهبِ الرافضةِ ما عرفَ الحقَّ عامي ما يدري؛ مثلاً قال له علماءُه كذا وكذا فظنَّه الحقُّ هذا ما نجزمُ بسوءِ قصدهِ إلا إذا دعوناهُ وبيَّننا له الحقَّ قال:

لا "قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ"؛ عرفنا أنَّه ليس قصدهُ الحق. "قد يكونون علماءً لكن
لأننا أخذنا العقيدة عنهم العلوم الأخرى نأخذها منهم. الحمدُ لله إذا استشهدوا بها على معتقدهم
نردُّ عليهم. لا، يجب أن يُحذف اللي يتعلق بالعقيدة ونخشى أن هذا يُدرِّس على أنه
عقيدتنا، نحذفه من المقرر أو نثبِّه عليه".....

ولاحظ أنَّ الإنسان إذا كَفَّرَ أحدًا ليس بكافرٍ فإنه يعودُ هذا الوصفُ إليه. ومعنى "يعودُ
الوصفُ إليه" أنه قد يُتلى فيرتدُّ عن الإسلام إلا أن يتوب. ليس المعنى أنَّ الإنسان إذا
كَفَّرَ كَفَّرَ في الحالِ لأن هذا ليس بكفرٍ يعنى كون الرجلُ يقول لمسلم ياكفر أو أنت
كافرٌ هذا لا يُخرِجُهُ من الإسلام ولكن قولَ الرسولِ عليه الصلاة والسلام- "إلعادَ إليه أو
حار عليه" المعنى أنه يكون سببًا لأن يرتدَّ عن الإسلام وليس المعنى أنه بهذا التكفير صارَ
كافرًا؛ فالإنسانُ على خطرٍ إذا كَفَّرَ مسلمًا وهو لم يُكفره اللهُ ورسوله على خطر أن يعودَ
إليه هذا التكفير فيكفر هو في المستقبل.